

المير الخامس والأربعون

" على أحد الشعانين "

للقدیس یعقوب السروجی

أيها النبع المحيي الذي شرب منه الأموات وعاشوا. أترع لي نفسك لأبرد عطشى من ينبوعك. أيها السقي الذي جرى في الأرض العطشانة وأعطت الإثمار. أسقني منك لأصرخ ظاهراً بتعليمك. ابن الله الذي دعا نفسه مياه الحياة. أعطني لأشرب منك وأتكلم لك. أيها البئر الجديدة التي نقروها بالرمح على الجلجلة. أعطني مشروباً لأسقي العالم المحتاج لينبوعك. أيها المجرى الذي نزل من رأس العلو للأرض. بمشروبك ينبت ضميري وينبع أثماراً ممجدة. أعطني لأقول لك. لا لأحدك لأنك غير محدود. بل لأكرز لسامعي بغير إدراك. من يستطيع أن يدرك قولك كما أنت ذاتك. بل الحب هو بالخبر أعظم من النطق. كل ما ثم مكان للحب يتكلم على إستعلانك. أعطني كلمة لأتني حسن إتضاعك. حبك أنزلك من المركبة للجحش العارى. ومن هو كاف ليثني خبرك كما هو. عوض عساكر الكاروبيم الغير المفحوصة مركوب متضع يبجلك في بلدنا وكيف أنهاك. من بين العجل والوجوه وأجنحة اللهب أنزلتك المراحم. وها يبجلك ابن الأتان. من ذاك الظهر الممتلىء عيوناً يطوفون لهذا المركوب الذي ليس ثم في العالم شيء أحقر منه. من العساكر القائمين على الإلتهاب للجمع القليل الحاملين الأغصان في أسواق صهيون. من عظمة الكرسي الممتلىء نوراً للإتضاع البسيط بالمحبة مع التلاميذ. الآن كيف يتكلم خبرك المتكلم وبأى صوت يقول لك الفم أن يقل. ها في المركبة يجهر بهاؤك السمايين. والجحش الحقير المزدرى حاملة بين الأرضيين. أنت متبارك بحركات العجل الناطقة. وأنت المتمجد بأغصان النخل في الجماعات. أنت فوق وتحت وبالعظمة والصغر في العلو والعمق ومن ينهاك بالكلام. أنت عمانوئيل صرت مثلنا من أجلنا. ومع والدك مثله من أجله لأنك له تشبه. ها يباركك كاروبيم النار بترفرهم. ويمجدك الأطفال بتسبيحهم. كل الأماكن تعظمك بأشكالها. العلو بنوره والعمق بأغصان الشجر. فوق شديد يخاف منه اللهب. وتحت متضع مختلط بحبه مع التحتانيين. ملائكة النور بريش النور يدرسون طريقه. والتلاميذ أيضاً يلقون قدامه ثيابهم. ظل الجبار من عند أبيه ليفتقد مكاننا. وبارادته بلغ لحد الإتضاع. عقد التاجات وسأل له جحشاً ابن أتان. لكى بإتضاعه يزدري بقوة الشياطين. أهلك الخيول ومراكب الملوك التي لإفرايم. وحمل وأنزل السلام للشعوب الغضابي.

رذل وأزدرى بالمراكب المزينة التى للسادات . وركب الجحش ليفتقد شعبه بالإتضاع .

نظر أولاد العبرانيين إتضاع الملك العظيم . وحملوا الأغصان ليسجدوا له بتمجيدهم . ظلم الشيوخ تمجيد الملك الآتى لمكاننا . وتحرك الأطفال ليسبحوه بدهش تمجيدهم . أوفى الصبيان التمجيد الواجب على شيوخ الشعب وأتقنت هناك التسبحة المطلوبة . سد أفواههم الكهنة والكتبة ولم يمجدوا . وإنعقد صفوف الأطفال ليهتفوا بتمجيدهم .

صرخ الوديعون مبارك الآتى باسم الرب . وأرعدت طريق الملك الآتى بالمجد الجديد . أنحنت الأشجار لتعطى الأغصان لاتفاق الطريق للثمرة الحلوة التى أعطت للعالم الكرامة المباركة . ضفر الأطفال إكليل التسييح بفرحهم لعتيق الأيام الذى صار طفلاً بين إجتماعهم . كبير العوالم أتى وصار شاباً فى بلدنا . ومن أجل هذا تحرك الشبان بالتمجيد . زكريا النبى حمل قيثار الروح وأسرع قدامه بتراتيل نبوته بإبتهاج . شد أوتاره وحرك صوته وقال أفرحى يا إبنة صهيون وأهتفى وأصرخى لأن ملكك يأتى . وها يبلغ راكباً جحشاً ابن أتان . أفتحى له أبوابك ليأتى إليك بالإتضاع . أبهجى جداً وأفرحى وأصرخى بالمجد المرتفع لأنه يأتى إليك كما أتكلتك النبوة .

رتل زكريا لإبنة العبرانيين لتفرح معه . والعروس الحقيرة لم تفرح كما دعيت . وإنسحقت وحننت لمجىء العريس . ولأجل هذا لم تفرح بقبوله . انسبى قلبها بالعجل حبيبها وبه تتفاوض . ولم تسمع النبى لما قال لها أفرحى . تشبثت بالأمثال القبيحة ذوى الأربعة وجوه . ولم تتفرغ ليفتح الباب للملك الآتى . مهتمة لتخدم أصنامها ولم تخرج لخدمة مجد سيدها . تسجد للزهرة وتعمل الحلقة لقوروا . وتحب ملكوم وتصدع الذبائح لباعال صاحبها . تسجد بالخفى لزحل وكوموش وتعمل العيد لجميع آلهة الأمم . تعتنى بنغمات المصريين ولم تتفرغ لترتل بالمجد للملك الآتى . مهتمة لتعد الذبائح للشياطين . ولم تخرج لتحمل الأغصان مع الأطفال .

الأنبياء يدقون أبوابها المرتفعة ويوقظونها وهى نائمة بمحبة كثرة الأصحاب . الأطفال يمجدون ويباركون الملك الآتى . والعجوز تهتم بتنظيف أصنامها لتجددها . أفرحى يا إبنة صهيون ولم تفرح صاحبة العجل . وحننت بمجىء وريث الأب . عرفت أنه يفضحها وبغضته ولم ترتض أن يتمجد من الأطفال . الحسد كمها وخرست بالسكوت من التمجيد وأهتمت لتسكت الممجدين . لم يكفها أن لا تريد أن تمجد . بل أجتهدت أن تسكت الممجدين الآخر . مجد هؤلاء وغضبت هى من أصواتهم . وهددت أن يسكتوا من التمجيد ولم يسكتوا .

صرخ إشعياء أستيقظى وألبسى العصمة . وصرخ زكريا سرى وأفرحى بالملك الآتى . صرخ الأطفال مبارك هو الآتى باسم الرب . وأرعد المجد غنياً فى طريق الملك . ولم ترد العبرانية أن تسمعهم . لا لزكريا ولا لإشعياء ولا للأطفال . لم تتصف لا للأنبياء ولا للأطفال . وحننت وغضبت من أصواتهم .

وأهتمت كثيراً أن يسكتوا بإهتمامها . وطلبت حيلة لتسكتهم بكل الأسباب ولم يسكت
الممجدون من تمجيدهم .

حركهم الحق ليمجدوا ظاهراً وصارت طريق الإبن عجباً للمفرزين .
وصغيرة هى له تماجيد العوالم وإتقانها . وبالدهش العظيم قام صفوف ميخائيل
لينظروا الإبن راكباً الجحش فى أسواق صهيون . تفرس العالين ورأوا الوحيد
متضعاً وهادئاً بين الجموع الأرضيين . وتحرك الروحانيون لعله نزل من المركبة .
ومالوا كلهم لينظروا أن كان هو هناك ورأوه فى الكرسى البهى فى المكان العالى .
ورأوه راكباً على الجحش بين الأرضيين . دهش الملائكة لما يفرسون فيه فى
الجانبيين فى العلو والعمق . ولم يكن إثنين بل واحداً . تفرسوا أن الكرسى لم يتفرغ
منه . ونظروه بين هؤلاء الممجدين . راكب الكاروبيم وراكب الجحش وهو العجب .
حال فى العلو وحال فى العمق ولم ينقسم . بين العالين تنوضع بروق النور
فى طريقه . وعند التحتانيين تكرم بأغصان النخل . الكاروبيم يتحركون ليباركوه فى
مكانه العالى . وفى العمق يسبحه الصبيان بتمجيدهم . ولما تمجد انحسدت إبنة
الشعب وإنكلبت . وأهتمت أن يسكت التمجيد من كل الأفواه . لم توافق لا العالين
ولا التحتانيين الذين يمجدون لطريق الإبن الممتلئة دهشاً . تعبت كثيراً لتسكت
الممجدين ولم يسكتوا لأن أفواههم ممتلئة حقاً . دخل الحسد شيوخ الشعب بتمجيد
الأطفال وتذمر الكتبة وأنشج الكهنة من أصواتهم . الملائكة يمجدون الإبن فى بلده
العالى . والأطفال البسيطون مع التلاميذ داخل العمق . وتذمر اليهود باغضو جميع
الحسنات . وتقدموا إليه وسألوه أن يسكتهم قالوا له ألم تسمع ماذا يقول هؤلاء . كمن
يأخذ مجداً ليس هو له بل مستعاراً . من فضلات تمجيده العظيمة يتمجد . وحسده
كمن يخطف مجد آخرين .

صرخ الممجدون بنقص قليل من تمجيده . وإنحسد الكتبة كمن لم يقتن مجداً
منذ قط . قالوا له ليقول أن يسكتوا من التمجيد . كمثل إنه إذا سكت الأطفال بطل
تمجيده . أيها اليهود باغضوا النور كيف يسكت من التمجيد الممتلىء منه السماء
والأرض أن يسكت الصبيان الحاملون الأغصان ها لم تسكت الجموع فى بلده .
ربوات ربوات وألوف ألوف سمائيون يمجدونه من يبلغ ليسكتهم . إن كان هذا الجمع
القليل سهل أن يسكت . من يأمر لعسكر غبريال .

قالوا له أن يقول ليسكتوا . وأجابهم هو أن سكت هؤلاء صرخت الحجارة
بالتمجيد . وهكذا هى كما قال معلم الحق إن لو سكتوا صرخت الحجارة كما قال
لأنه وقت وجب فيه التمجيد للإبن . ولو ظلموه أوفته الحجارة بالمجد . لو لم يمجد
الأطفال بأغصان الزيتون كانت الصخور الصماء تمجد بأصواتها .

ركب رب الملوك جحشاً إبن أتان وتحرك الطبع ليعطى المجد لإتضاعه .
وإنشج الكهنة والكتبة ورؤساء الشعب لأنهم مطلوبون بقول التمجيد . ولما ظلم
الشيوخ التمجيد فى وقته ضج الصبيان ليعطوا المجد بتسبيحهم . ولو سكتوا لم يبطل
التسبيح هناك . وكانت الحجارة تحرك الأصوات بترتيل تمجيده . لأن الطبع مجتهد
أن يفى سيده بالمجد . ولو لم يتكلم الناطقون تكلم الخرس . حين ظلم المعلمون تكلم

البيسطون . ولو سكتوا لكان يسهل أن تعطى الحجارة التمجيد . فى ذلك الوقت لم يكن يستطيع أن يهدأ المجد أما من الناس أو كانت الحجارة تنطق .
دهشت الخليقة بإتضاع ابن الله . وأهتمت أن تعطى المجد بصوت مرتفع .
لو لم يهتف الأطفال لنطقت الحجارة . لأنه ليس ثم إمكان لتبطين المجد هناك . من الآن يقدر أن يقيمنا على الخفيات أن الحجارة كانت تصرخ كما قيلت . أيها العارفون حققوا لنا كلمة الابن كيف قال أن الحجارة تكافىء بالمجد . نقول الآن لمن يحتاج للإظهار لان من الظاهرات يسهل أن تتعلم على الخفيات .
فى الصلبوت كان المجدون ساكتين . وصرخت الحجارة والصخور بالتمجيد المطلوب . عوض التلاميذ الذين لم يطرحوا قدامه أرويتهم . خرج الأموات وأعطوا المجد بكينارهم . عوض الأشجار التى لم ترسل له من أغصانها . أظلمت الشمس وأهربت نورها لتكريمه . عوض الصالبيين المجدفين على المخلص .
الطبائع الصماء مجدته بأشكالها . هرب المحبون وثبت المبغضون عند الجلجلة . وكان وقت يصعد المجد للإبن المصلوب . وسكت الناس . وتحركت الحجارة بالتمجيد لئلا يبقى الملك المصلوب بغير تمجيد . وبهذا السبب الذى صار هناك فى الصلبوت . ظهر أن لو سكتوا لنطقت الحجارة . لو لم يمجد الأطفال بأغصان الزيتون . كما تمجد عند الجلجلة لكان يتمجد . والكلمة قائمة بإستضاءة عند المفرزين أن لو سكتوا لصرخت الحجارة كما قيل .
الطبائع منذ قط لم تظلم مجد الرب لأن جميع الخليقة تتغلب منه للتمجيد .
وأيضاً من الخشب والحجارة يسهل أن يتمجد . لأن رمزه الخفى يحرك الطبائع لتعطى التمجيد خلانق خلانق بأشكالها . يرتلون تمجيد الناطقة والساكنة . تمجد بتغاييرها الشمس بنورها والشعاع بحرارته كما يمكن أن يعطى المجد بسعى طريقه . القمر بإشراقه وبسرعة تغاييره يحرك المجد لرب الأزمان الغير المتغير . الرفيع بأرتفاعه والأنوار المصفوفة فيه يرتل المجد ليلاً ونهاراً لمكونه . الأرض والتلال والجبال العالية كما خلقت تعطى المجد بأشكالها . جميع الغاب والأشجار والأرز والأثمار تعطى كل يوم المجد بالدهش العظيم .
السماء والأرض ممتلئان من مجده كما كتب . وكلما تكوّن يرعد المجد لمكونه . كل الخليقة ترتل المجد بألسنتها . وكيف وكما تسمع منذ قط لم تستطع .
يشهد الحق أن الطبائع كلها تمجده . وكيف لم يقدر أحد أن ينطق . ليس أحد يعرف بأى فم وبأى صوت ترتل الأرض المجد لسيدتها إذا ما طلبت . شهد داود أنهم يمجدون لما يطلبون . وأيضاً العناصر تعطى المجد بكينارها . النار والبرد والجليد والتلج . والهوام والأعماق . والأرض والجبال والتلال . لهؤلاء طالب داود بالمجد كمثل الجزية ليصعد للخالق المجد من خليقته . أجهد الرياح والعجاج ليمجدوا . ولو لم يحس بتمجيدها لم يجهدها . تحرك داود بروح القدس وحركها على التمجيد .
العاليون والتحتانيون . الشمس والقمر والأضواء التى فى الرقيق . الأرض والجبال والتلال والأشجار . قال لها داود كلها سبحى الرب . ولأنه يعرف أنه تسبح أيقظها . وأما كيف وبأى نوع تعطى التمجيد فلا تطلب منى . لأنه يعسر على تفسير الأسرار الخفية التى بين الله لخلانقه . هو الذى يسمع إذا ما سبحت بأشكالها . تصرخ

الحجارة بمجده إذا ما طولبت . وهو وحده يعرف يسمع ألسنتها . وكانت مستعدة لما ركب على الجحش لتمجد وتعظم طريق إتضاعه الجديدة . ولما أخذ الصبيان والأغصان ومجدوا لم يضطر أن يعطوا المجد هناك . لو سكت هؤلاء الحاملون الأغصان هناك تحركت الحجارة لتمجد الملك الآتى . ولما أهتم اليهود أن يسكتوا تمجيد الإبن أجابهم أن الحجارة تصرخ من أجله . وأيضاً صرخت كما قال بالحقيقة . وليس ثم إمكان أن يهدأ تمجيده من الخليقة .

تسبحك يا ربى الأفواه الناطقة بألسنتها . وترتل المجد الطبايع الخرساء بأشكالها . يعترف لك ياربى جميع الطبع الذى تجدد بك . لأنه كله مشجوب ليعترف بدهش إتضاعك . يسجد لك العلو لأنك تنازلت إلى الأرضيين . ويمجدك العمق لأنك أرفع من العالمين . يهتف لك ياربى الجمع الذى خلصت فى بيعة الشعوب لأنك عتقتهم من عثرات الأصنام المخروبة . يسر اليوم الأمم ويبتهجون بك . عوض ما أنكرت وحقرت وغضبت إبنة العبرانيين . ها يمجدك الصبيان بأغصان الشجر . وأختلط صوت الشيوخ مع الأطفال .

ها يسجد لك الرعاة وقطعانهم . عوض تلك الغنم التى صلبت راعيها على الجلجلة . ها يباركك جميع الشعوب من كل الأماكن عوض ما انشتمت من صفوف بيت قيافا . ها يصرخون لك فى الجماعات قدوس . قدوس . قدوس . عوض ما صرخت جماعة الشعب أنه يستحق الموت .

ها كل الأصوات من كل الأفواه ترتل بتمجيدك بكل الألسن . ايقظتها على تسبيحك . السارافيم النارية بالأصوات المخوفة المقدسة تتحرك بتمجيدك لما تنحجب من اللهب . والكاروبيم الممجدون المرتبطون لك من اللهب برعب عظيم يمجدون كل يوم لمخافتك . السمائيون الألوف يرتلون بتمجيدك ولم يهدأوا من التمجيد .

وها ترعد وتبتهج وتفرح بك البيعة البتولية التى رددتها ياربى من السابين . الكل يعترفون لك . لأن بمجيدك تجددوا . مبارك أنت من الكل . لك المجد من كل الألسن . وعلينا رحمتك إلى أبد الأبدين ودهر الدهرين . آمين .